ISLAMIC SCIENCES JOURNAL(2022) Vol (13) Issue (4)section(3): 233-257
https://doi.org/10.25130/jis.22.13.4.3.11

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 *(Print)* *E-ISSN*: 2663-8800 *(Online)*
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq

ISJ

Instructional tips from God in Surat Joseph (Yusif) and its benefit in the Educational Process

Dr. Maysoon Haider Taha

Dr. Abdullah Aswad Khalaf*

Department of Creed and Islamic Thought/ College of Islamic Sciences Tikrit University – Iraq .

KEY WORDS:

divine directives, the educational aspect of the Holy Qur'an, behavioral education, behavioral education images.

ARTICLE HISTORY:
Received: 5 /4 /2022
Accepted: 24 / 4 / 2022
Available online: 1 /7 /2022

ABSTRACT

The educational aspect of the Holy Qur'an is of special significance if it is not the basic factor. There is no verse that does not have an educational imprint while dealing with a specific issue, and the issues that the verses of the Holy Qur'an, in its two parts, Meccan and Madani, were exposed to, dealt explicitly or not with educational dimensions, through the multiplicity of its methods and Its means, for example, through the story, or encouragement and intimidation, proverbs or dialogue, the Qur'anic education comes to achieve its purposes in calling for many values and ideals aimed at building a virtuous society in which virtuous values and morals prevail and justice and equality prevail, and to such meaning many researchers has go on.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

* *Corresponding author: E-mail*: **dr.abedallh.a.khalif@tu.edu.iq**

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL(2022) Vol (13) Issue (4)section(3): 233-257
https://doi.org/10.25130/jis.22.13.4.3.11

التوجيهات الربانية في سورة يوسف والإفادة منها في العملية التربوية

م.د. ميسون حيدر طه

ا.د. عبدالله اسود خلف

قسم العقيدة و الفكر الاسلامي / كلية العلوم الاسلامية/ جامعة تكريت_ العراق.

الخلاصة: للجانب التربوي في القرآن الكريم أهمية خاصة إنْ لم يكن هو الأساس، فما من آيةٍ ألا ولها بصمة تربوية وذلك أثناء تناولها لقضية معينة، والقضايا التي تعرضت لها آيات القرآن الكريم بِشِقَّيها المكّي والمدني تناولت بشكل صريح أو غير صريح الأبعاد التربوية، من خلال تعدد أساليبها و وسائلها، فعن طريق القصة مثلًا أو الترغيب والترهيب أو الأمثال أو الحوار تأتي التربية القرآنية لتُحقِّق أثناء ذلك أغراضها في الدعوة إلى كثير من القيم والمثل الهادفة إلى بناء مجتمع فاضل تسوده القيم الفاضلة والأخلاق ويسوده العدل والمساواة، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من الباحثين.

الكلمات الدالة: التوجيهات الربانية , الجانب التربوي في القران الكريم , تربية السلوك , صور التربية السلوكية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين انتهجوا نهجه إلى يوم الدين.

أمّا بعد...

لقد كانت الدراسات الإسلامية وما زالت على اختلاف مواضيعها وأشكالها قد جعلت من القرآن الكريم عطاء لها، وذلك من خلال آياته وسوره، فما من باحث في هذا الجانب إلّا والقرآن الكريم مصدره ومعينه، من حيث أنَّه يمثل سندًا للباحثين وميدانًا للدارسين ومنارًا يهتدي به المؤلفون للوصول إلى ما يريدون.

وليس غرضنا من هذا هو البحث في الدراسات القرآنية على اختلاف صورها وإشكالها جميعا فهذا مِمّا لا قبل لنا به، وإنّما أردنا الإشارة إلى أنَّ مباحث القرآن الكريم لا يمكن لها أنْ تنتهي أو أنْ يلم بها الباحثون على اختلاف مشاربهم مهما اتّسعت مصادر معرفتهم وموارد علومهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾[1]. ولأنّ مباحث القرآن الكريم متعددة الجوانب ومتنوعة الأشكال ومختلفة الأساليب، فإنّ هذا في جوهره قد مَثَّل أسلوب القرآن الكريم التربوي في تخليص المجتمع من آفاته وأدرانه، وعلى هذا فأنَّه يمكن القول بأنَّ للجانب التربوي في القرآن الكريم أهمية خاصة إنْ لم يكن هو الأساس، فما من آيةٍ ألا ولها بصمة تربوية وذلك أثناء تناولها لقضية معينة، والقضايا التي تعرضت لها آيات القرآن الكريم بِشِقَّيها المكّي والمدني تناولت بشكل صريح أو غير صريح الأبعاد التربوية، من خلال تعدد أساليبها و وسائلها، فعن طريق القصة مثلًا أو الترغيب والترهيب أو الأمثال أو الحوار تأتي التربية القرآنية لتُحقِق أثناء ذلك أغراضها في الدعوة إلى كثير من القيم والمثل الهادفة إلى بناء مجتمع فاضل تسوده القيم الفاضلة والأخلاق ويسوده العدل والمساواة، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من الباحثين، بل عدّ البعض منهم التربية الإسلامية الأساس الذي استندت عليه التربية الحديثة، فيما اعتبر البعض الآخر أنَّ التربية الخلقية هي الأساس وأنَّها تمثل حقيقة التربية الإسلامية وجوهرها.[2]

وسورة يوسف كإحدى سور القرآن الكريم تناولت هذا الجانب –أعني الجانب التربوي– ودعت إليه أثناء القصة المشوقة والأساليب التي احتوتها، فقد عالجت السورة المباركة القيم الفاسدة ونبّهت إليها كالكذب قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ

---

[1] سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

[2] ينظر: التربية الإسلامية، لمحمد عطيه الأبراشي: ص ٩.

عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾[1] والغدر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ ﴾[2] والخيانة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾[3] والحسد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾[4]، في الوقت الذي تناولت أضدادها ودعت إليها، كالصبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾[5] ودوام ذكر الله تعالى والاستنجاد به قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾[6]، والدعوة إلى الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾[7] والاعتراف بالفضل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾[8]، والاعتراف بالذنب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ﴾[9]، والعفو عند المقدرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾[10]، وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى، وما إلى ذلك من قيم كثيرة أكّدتها السورة الشريفة وذلك أثناء منهجيتها في تناول قصة نبي الله يوسف عليه السلام، تلك القصة التي أثْرَت المنهج التربوي القرآني ليُحقِّق عن طريقها أهدافه وغاياته.

فكان ليوسف عليه السلام سلوكٍ يمتاز به عن غيره وخُلقٍ تربويّ عالٍ، فقد ((نشأ سيدنا يوسف عليه السلام على تقوى الله وحسن الخلق فكان قمّة للعفّة والأمانة والطهر ورعي الذمام في قصر عزيز مصر، ورفض فيه الشرّ والخيانة والمعصية، وكان مُحسنًا في السجن فكان يداوي مرضى المساجين ويُعزّي حزينهم ويوسّع على محتاجهم ويسري عنهم ويقول لهم أبشروا واصبروا تؤجروا. إنّ في هذا

---

[1] سورة يوسف، الآية: ١٧.

[2] سورة يوسف، من الآية: ١٥.

[3] سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

[4] سورة يوسف، من الآية: ٨.

[5] سورة يوسف، من الآية: ١٨.

[6] سورة يوسف، من الآية: ٣٣.

[7] سورة يوسف، الآية: ٣٩.

[8] سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

[9] سورة يوسف، من الآية: ٥١.

[10] سورة يوسف، من الآية: ٩٢.

الصبر ثوابًا. فكانوا يقولون له: يا فتى بارك الله فيك. ما أحسنَ وجهك وخلقك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك، وكان في الحكم رخاءً وسلامًا ورحمةً للناس)).[١]

أمّا عن منهجية البحث العلمي فقد قسمتُ بحثي إلى ثلاثة مباحث, المبحث الأول تربية السلوك وقسمتُه إلى مطلبين, والمبحث الثاني تربية النفس وقسمتُه إلى ثلاثة مطالب, والمبحث الثالث تربية العقل, وأيضًا قسمتُه إلى ثلاثة مطالب, ففي المبحث الأول عرّفتُ السلوك لغةً واصطلاحًا, وتناولتُ التربية السلوكية في قصة يوسف والتوجيهات الربّانية له عليه السلام, وفي المبحث الثاني عرَّفتُ النفس لغةً واصطلاحًا, وأثر تربية النفس في السلوك, وبينتُ جوانب من التربية النفسية في سورة يوسف عليه السلام, وتحدثتُ في المبحث الثالث عن تربية العقل فعرَّفت العقل لغةً واصطلاحًا, وأهمية ومميزات التربية العقلية, ثم وضحتُ جوانب من التربية العقلية في سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول: تربية السلوك

المطلب الأول: تعريف السلوك وبيان ماهيته

السلوك لغةً: هو مصدر من الفعل (سلك) والفعل (سلك) يتضمن معنى الإدخال، يقال سلكته فيه بمعنى أدخلته.[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ ﴾[٣] وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤] ونقول سلكتُ الطريق بمعنى دخلتُه، وسلكتُ وأسلكتُ[٥] يدي في جيبي بمعنى: أدخلتُها فيه. أمّا المسلك فهو الطريق، تقول سلكتُ الطريق الأقرب، فالطريق الأقرب هو المسلك الذي سلكه السالك.[٦]

أمَّا السلوك بمعناه الاصطلاحي: فهو سيرة الإنسان وتصرفاته الشخصية[٧]، أو هو المنهجية العامة لتصرف الشخص والمنطلقة من الآداب الاجتماعية، بحيث تكون تصرفاته المنبعثة من الأعراف الاجتماعية الحسنة سمة واضحة له، والسلوك بين الاستقامة والانحطاط، فالاستقامة (Good behaviour) تعني: التصرف في حدود الآداب العامة والقانون العامة والضوابط[٨]، أمّا

---

[١] حياة أخلاق الأنبياء، لأحمد الصباحي عوض الله: ص ١٢٥.

[٢] ينظر: لسان العرب، لابن منظور: مادة (سلك), ١٠/٤٤٢-٤٤٣.

[٣] سورة الشعراء، الآية: ٢٠٠.

[٤] سورة الزمر، من الآية: ٢١.

[٥] هما بمعنى واحد عند ابن منظور: ١٠/٤٤٢-٤٤٣.

[٦] ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: باب (سلك)، ٥/٣١١.

[٧] ينظر: معاجم لغة الفقهاء، لمحمد قلعجي: ص ٢٤٩.

[٨] المعجم القانوني، لحارث سليمان الفاروقي: ١/٣١٨.

الانحطاط الخلقي (moral – turpitude) فهو ((كل فعل ينطوي على سقوط أخلاقي أو انحراف جنسي، أو إخلال دنيء بواجب يترتب نحو الغير أو المجتمع بوجه عام، وكذا السلوك المغاير لمقتضيات العدالة أو الأمانة أو الآداب))[١] فالسلوك إذن يتعلق بتصرف الإنسان الشخصي، الذي قد يوصف بأنَّه حسن إذا كان ضمن ما ذكرنا من الضوابط الشرعية، وقد يوصف أيضًا بأنَّه شاذ إذا لم يكن موافقًا لها، ولذلك عرّف الشذوذ عن السلوك بأنَّه ميل نفساني يبعد الفرد عن المنهج والفطرة السليمة، ويؤدي به إلى الاضطراب الخلقي والمرض النفسي، مِمّا ينعكس سلبًا على العلاقة ما بينه وبين أفراد مجتمعه بوجه عام.[٢]

أمّا السلوك الحسن: فهو السلوك المنضبط الذي يجعل صاحبه خاضعًا سواء أكان قولًا أم فعلًا، للشريعة الإسلامية.[٣]

المطلب الثاني– نماذج من صور التربية السلوكية

أولا– في القرآن الكريم:

لقد حثَّ القرآن الكريم على تربية السلوك من خلال توجيهاته بآياته، فما من مبدأ سلوكي إلا وقد حثَّ القرآن عليه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٤].

وجاء القرآن الكريم أولًا لينظم العلاقة السلوكية ما بين الآباء والأبناء، مُبيّنًا واجبات كل طرف نحو الآخر، فقال :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[٥]، وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٦] وما من شك في أنَّه لبناء الجانب السلوكي الأسري أثر مهم في بناء المنهجية العامة لسلوك الإنسان، وقريبًا من هذا فقد أمر الله تعالى بصلة الأرحام، بل والنهي عن قطيعتها، فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[٧]؛ وذلك لأنَّ توثيق الصِّلات هو

---

[١] المصدر نفسه: ٣١٨/١.

[٢] ينظر: المعجم القانوني: ١٥٩/١.

[٣] ينظر: معجم لغة الفقهاء: ص ٢٤٩.

[٤] سورة الإسراء، من الآية: ٩.

[٥] سورة البقرة، من الآية: ٨٣.

[٦] سورة الإسراء، الآية: ٢٣. وفي هذا المعنى، سورة النساء، الآية: ٣٦، وسورة الأنعام، الآية: ١٥١، وسورة العنكبوت، الآية: ٨، وسورة لقمان، الآيتان: ١٤– ١٥.

[٧] سورة النساء، من الآية: ١.

الأساس الذي يدعم بُنية المجتمع، وأنَّ العلاقة الحسنة مع أفراده هي الأرضية السليمة لبنائه بناءً قويًا ومتينًا.

ومن صور التربية السلوكية أيضًا إفشاء السلام فهو الوسيلة لتقريب النفوس فقال جلّ وعلا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾[1] وهناك جوانب كثيرة من تربية السلوك أوردها الله في القرآن الكريم لا يتّسع المجال لذكرها من التَّواضع ولين الجانب وعدم السخرية والتدخل في شؤون الغير وكظم الغيظ... الخ.

ثانيا- في سورة يوسف:

احتوت سورة يوسف على كثير من المعاني السلوكية المهمة والتي تجسدت في شخص نبي الله يوسف عليه السلام والتي مَثَّلت بدورها دور الأنبياء -أثناء سلوكهم- في دعوتهم إلى الله عز وجل، وذلك عن طريق أسلوب القصة الفريد، وعن طريق روعة تعبيرها وجمال ألفاظها، وطريقة عرضها للأحداث والمواقف، لِتُجسِّد أثناء ذلك القيم التربوية والصور السلوكية المهمة.

فقد دَعتْ السورة إلى مبادئ سلوكية مهمة، لعلّ من أبرزها العفّة وصون الفرج، هذا المبدأ السلوكي المهم الذي أكّد عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾[2] مبدأ سلوكي مهم أكّدت عليه سورة يوسف; لأنَّ فيه صيانة لأعراض المجتمع، وفيه تأكيد على ذكر ما مَنَّ الله تعالى به على العبد.

وقد جسَّد يوسف عليه السلام أيضًا معنى الأمانة عن طريق عدم خيانة سيده بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ فالأمانة من المبادئ السلوكية المهمة والتي من شأنها تدعيم ركائز المجتمع وتوطيد أركانه، ويوسف كان أمينًا أثناء سلوكه فرفض المُغرَيات التي عرضت أمامه كافة، حيث أعرض بنفسه عن الوقوع في الزِّنا.[3]

ومن صور التربية السلوكية أيضًا، العفو عند المقدرة، فهي صفة من شأنها توطيد عُرى المحبة بين المتخاصمين، فقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ

---

[1] سورة النساء، الآية: ٨٦.

[2] سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٦٨/٩.

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[1] فالعفو من أهم الصفات التي ينبغي أنْ يتحلى بها الإنسان وهي تُعبِّر عن نفس كبيرة يتحلى بها صاحبها، وما ذلك إلا تلبية لدعوة الله ﷻ بمقابلة إساءة الناس وذلك بالإحسان إليهم.[2]

وذكر ابن الأنباري أنَّ يوسف أنَّما ذكر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾[3] فهو إشارة منه عليه السلام إلى ذلك اليوم؛ لأنَّه أول وقت العفو. [4]بمعنى: مسارعته إلى هذا المبدأ السلوكي المهم، فهو لا يحمل لإخوته مع ما فعلوه به سوى الصفح والعفو وليس بينه وبينهم إفساد أو عداوة وهذا هو معنى قوله: ﴿لَا تَثۡرِيبَ﴾[5] وصاحب العفو له عند الله منزلة كبيرة، حيث قال عكرمة: ((أوحى الله إلى يوسف، بعفوك عن إخوتك رفعتُ لك ذِكرك)).[6]

ومن السلوكيات المهمة في هذه السورة أيضًا الاعتراف والإقرار بالذنب، فهو سلوكية مهمة جاءت مرّتين في هذه السورة، مرة على لسان زوجة العزيز حين قالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[7]، ومرة أخرى جاءت على لسان أخوة يوسف عليه السلام ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾[8], وهناك سلوكيات كثيرة مثل الصبر وتحمل أذى الآخرين وكثير من السلوكيات التي لا يتَّسع المقام لذكرها. وقد أوردنا أو أشرنا في بحثنا المتواضع إلى أهمها في هذه السورة المباركة.

المبحث الثاني: تربية النفس

المطلب الأول: تعريف النفس وبيان طبيعتها

ذهب علماء اللغة إلى أنّ النفس تأتي بمعانٍ منها الروح[9]،

---

[1] سورة يوسف، من الآية: ٩٢.

[2] ينظر: روح الدين الإسلامي، لعفيف طيارة: ص ٢١٠.

[3] سورة يوسف، من الآية: ٩٢.

[4] ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي: ٢١١/٤.

[5] ينظر: جامع البيان، للطبري: ٧٤/١٣.

[6] الجواهر الحسان، للثعالبي: ٣٥٠/٣.

[7] سورة يوسف، من الآية: ٥١.

[8] سورة يوسف، الآية: ٩١.

[9] ينظر: لسان العرب: مادة (نفس)، ٢٣٣/٦، ويقول: ((سميت النفس نفسًا؛ لتولد النفس منها واتصاله بها كما سمُّوا الروح روحًا؛ لأنَّ الروح موجودة به)). ٢٣٥/٦.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[١] وتأتي النفس بمعنى الذات، يقال: فلان قتل نفسه بمعنى انتحر وكان سببًا في هلاك ذاته[٢] وتأتي بمعانٍ أخرى منها الإخوّة والعنديَّة والدَّم[٣]، فمن الإخوّة قوله تعالى:﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[٤] وأمّا العندية فمنها قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[٥] خلافًا للأنباري القائل بأنَّ المراد من النفس هنا الغيب.[٦] وقيل: هي الذات، ذكر ذلك الراغب الأصفهاني، ويقول مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[٧]: ((فنفسه: ذاته، وهذا -وإنْ كان قد حصل من حيث اللفظ مضاف ومضاف إليه يقتضي المغايرة، وإثبات شيئيين من حيث العبارة- فلا شيء من حيث المعنى سواه الله تعالى عن الأثنوية من كل وجه)).[٨] وتأتي النفس أيضًا بمعنى الجسد،[٩] يُقال: قتل فلان نفسه بمعنى قتل بدنه وجسده.

وقد ذهب الإمام الغزالي -رحمه الله- إلى أنَّ النفس تشترك بين معانٍ كثيرة، منها أنَّ النفس أنَّما يراد بها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وإلى هذا مال المتصوفة القائلون بوجوب مجاهدة النفس وكسرها بناء على هذا المعنى.[١٠]

المطلب الثاني: أثر تربية النفس في السلوك العام

لقد اهتم القرآن الكريم بتربية النفس وتطهيرها، وذلك لِما لها من أثر مهم في تربية السلوك، وهذا المعنى يتجسد لنا أثناء قصة يوسف عليه السلام التي دعت إلى تطهير النفس وتنقيتها من الشوائب التي من الممكن أنْ تؤثر سلبًا على درجة نقائها وصفائها، ولا يختلف أحد على أنَّ سورة يوسف عليه السلام ما جاءت إلا لتربية السلوك وتهذيب الأخلاق، وذلك أثناء تربية النفس التربية العملية الحقَّة التي يُعزى إليها حسن تربية المجتمع، فالنفس الزاكية هي التي تدعو إلى انتهاج منهج السلوك الحسن ونبذ ما عداه، والنفس المريضة هي التي تدعو إلى ضد هذا وتأمر به، ونوازع النفس كبيرة وكثيرة، ويبقى

---

[١] سورة الزمر، من الآية: ٤٢.

[٢] ينظر: لسان العرب: مادة (نفس)، ٦/٢٣٣.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: مادة (نفس)، ٦/٢٣٤.

[٤] سورة النور، من الآية: ٦١.

[٥] سورة المائدة، من الآية: ١١٦.

[٦] ينظر: لسان العرب: (مادة نفس)، ٦/٢٣٤.

[٧] سورة آل عمران، من الآية: ٢٨.

[٨] المفردات، للراغب الاصفهاني: ص ٥٠١.

[٩] ينظر: لسان العرب: مادة (نفس)، ٦/٢٣٥.

[١٠] ينظر: إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي: ٣/٩١١.

واجب الإنسان تهذيبها، بل وإخضاعها إذا اقتضى الأمر ذلك، كما حصل ليوسف عليه السلام قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[1] فتزكية النفس وتنقيتها هو المسلك المسلك الصحيح لتحسين السلوك, فالسلوك الصحيح هو بالضرورة نتاج التربية الصحيحة التي تستند على القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة، ولو استعرضنا السلوك العام ليوسف عليه السلام لوجدنا أثر التربية واضحًا جليًّا أثناء التزامه عليه السلام بالمنهج السويّ المستقيم، وعدم انجرافه خلف الملذات الزائفة والشهوات المحرمة, ((ولأنَّ دور الإسلام يتعدى التوجيه أو التهذيب لطبائع الأفراد فهو يعترف بما لها من ميول عديدة ولا يحاول أنْ ينكر واحدًا منها أو يتجاهله كما لا يحاول أنْ يعمل على إفناء بعضها وإماتته حتى لا يظهر هذا البعض من الميول فيما بعد في أجياله القادمة. وإلا – لو حاول هذا أو ذلك– لكانت وظيفته تبديل خلق الله، وتحويل خصائصه، وليس ذلك من رسالة أي دين سماوي، فضلًا عن أنْ تكون رسالة الإسلام)).[2]

المطلب الثالث: جوانب التربية النفسية في سورة يوسف

لقد دعت سورة يوسف إلى تربية النفس وإخضاعها إلى قانون العقل في أكثر من موقف، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾[3] وفي هذا تأكيد لإخضاع النفس لقانون العقل، فقد توافرت أركان الفاحشة كافة من ((مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال، والمنصب والشباب، وكيف غلّقت الأبواب عليها وعليه وتهيأت له وتصنّعت، ولبست أحسن ثيابها وأفخر لباسها، وهي مع هذا كله امرأة العزيز))[4] لكن هذا كله لم يكن لينال من نفس يوسف، تلك النفس التي أَبَت أنْ تُقارب المعصية، مع توافر دواعيها وظروفها، ولم يكتفِ يوسف بهذا، بل كانت نفسه سبّاقة للفِرار من المعصية والابتعاد عنها، ولم يكن ليقف عليه السلام أمامها صامتًا متفرّجًا، قَالَ تَعَالَى:﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾[5] فالفِرار من المعصية هو أهم دواعي تربية النفس و وصولها إلى مرتبة الطُّهر والنقاء، وعلى العكس من يوسف، فقد كانت زوجة العزيز سبّاقة لمقاربة الفاحشة، بحيث أنَّها قدّت قميص يوسف قدًّا

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[2] الإسلام في حياة المسلم، لمحمد البهي: ص ٣٣٤.

[3] سورة يوسف، الآيتان: ٢٢– ٢٣.

[4] قصص الأنبياء، لابن كثير: ص ٢١٦.

[5] سورة يوسف، من الآية: ٢٥.

فضيعًا أدَّى إلى سقوطه عنه[١] ولكن هذا كله لم يكن لينال من صلابة نفس يوسف عليه السلام حيث ((أعرض عن تلويحها وتلميحها، وغض بصره عن محاسنها ورونق جمالها، وما كان ليوسف –وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم– أنْ يميل قلبه إلى محرّم، أو تجنح به نفسه إلى معصية، وما كان له أيضًا –وقد مَهَّد له العزيز في كنفه، وبسط له مهاد صدره، وائتمنه على أهله– أنْ يختانه في منزله، أو يسوءه في امرأته))[٢] وعلى الرغمِ من المحن التي تعرّض لها يوسف عليه السلام من السجن وأشباهه إلّا أنَّ هذا كله لم يكن لينال من صلابته، بل ما زادته هذه المحن إلّا صلابةً وإيمانًا، مع أنَّ البلاء كبير والامتحان صعب، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾[٣]، وهذا يتضمن إشارة منه عليه السلام، إلى أنَّ نفسه تبقى بحاجة إلى تسديد الله تبارك وتعالى له، ولأنَّ الله تعالى لا يُسدِّد عبدًا يرفض تسديد نفسه، فإنَّ يوسف عليه السلام استحق أنْ يُسدِّده الله ويعينه ((وهذا في غاية مقامات الكمال، أنَّه مع شبابه وجماله وكماله وتدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع عن ذلك، ويختار السجن على ذلك خوفًا من الله ورجاء ثوابه)).[٤]

وقد ذكر الإمام الغزالي إلى أنَّ أهل الصبر على مقامات ثلاثة، أولها ترك وهجر الشهوة التي لو ألقى الإنسان حبلها على الغارب لَأَودت به إلى مهالك عظيمة، وهذا المقام هو المتأصل في نفس يوسف، وهو ما يدور عنه الحديث، فضلًا عن المقام الثاني وهو الرضا بالمقدور، وهذا المقام الثاني أيضًا نجده متأصِّلًا في نفس يعقوب ويوسف –عليهما السلام– وذلك من حيث كثرة البلاء الذي نزل بساحتهم وصبروا عليه، والمواقف المتكررة والكثيرة والتي لم تزد يوسف وأبيه إلّا صلابةً وإيمانًا وعقيدةً، خير مثال على ذلك، والمقام الثالث هو المحبة لما يصنع به مولاه دون تذمُّر أو ضجر أو ملل، وقد وصف الإمام الغزالي هذا المقام بأنَّه مقام الصديقين.[٥]

ومن الصور الأخرى لتربية النفس التي وردت في سورة يوسف عليه السلام وهي تعويدها على أنْ تكون كبيرة أثناء العفو والتسامح، قال تعالى متحدِّثًا عن تسامح يوسف وعفوه عن إخوته ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾[٦] وسواء أكان كلام يوسف

---

[١] ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ص٢١٦.

[٢] قصص القرآن: لجاد المولى: ص ٨٦.

[٣] سورة يوسف، من الآية: ٣٣.

[٤] تفسير القرآن العظيم: ٤٧٣/٢.

[٥] ينظر: إحياء علوم الدين: ١٤٧٧/٤.

[٦] سورة يوسف، من الآية: ٩٢.

يوسف عليه السلام هذا مسبوقًا باعتذار إخوته منه كما قال السدي[١]، أم لم يكن، فهو يشير إشارة واضحة إلى أنَّ يوسف عليه السلام كان ذا نفس أخذت دورها في التربية وأصبحت نفسًا سامية متسامية رفيعة لا تعرف الأحقاد، ولم تكن المواقف السابقة لتؤثر على نقائها وصفائها مع شدة تلك المواقف وصعوبتها، فبلحظة عفا عنهم وسامحهم عن كل ما بدر منهم من مواقف، بل ولم يطل حتى عتابهم، فيوسف ((كان أكرم نفسًا من أنْ يُطيل خوفهم، وأوسع صدرًا من أنْ يكافئهم بزلَّتهم، فهم ما برحوا إخوته وبني أبيه، وإنْ تظاهروا على قتله والفتك به وإنْ توافروا على الكيد له ولأخيه)). [٢]

المبحث الثالث: تربية العقل

المطلب الأول: تربية العقل وبيان ماهيته

العقل لغةً: هو الحبس، تقول عقلت الناقة، أي: حبستها، ويقال: اعتقل لسان فلان، بمعنى: حبس ومنع عن النطق والكلام، ويقال: اعتقل فلان، بمعنى: حبس ومنع من الخروج[٣] وسُمِّي الإنسان العاقل عاقلًا؛ لأنَّه يحبس نفسه ويردها عن هواها، وأنَّما سُمِّي العقل بهذا الاسم فلأنَّه يحبس صاحبه عن الوقوع في المهالك، فالعقل هو محور التمييز عند الإنسان[٤]، ويأتي العقل بمعانٍ أخرى منها الدية، يقال: ((عقل القتيل يعقله عقلًا ودّاه، وعقل عنه، أدَّى جنايته، وذلك إذا لزمته دِيَّة فأعطاها عنه وهذا هو الفرق، ويقال: اعتقل فلان من دم صاحبه ومن طائلته إذا أخذ العقل وعقلت له دم فلان إذا تركت القود للدِّيّة)).[٥]

وجاء العقل في كلام العرب بهذا المفهوم وهو الدِّيّة والتي سُمِّيت بهذا الاسم؛ ((لأنَّ الدِّيّة كانت عند العرب في الجاهلية إبلًا؛ لأنَّها كانت أموالهم، فسُمِّيت الدِّيّة عقلًا لأنَّ القاتل كان يكلف أنْ يسوق الدِّيّة إلى فناء المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه، وأصل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلًا، وهو حبل تُثنى به يد البعير إلى ركبته فتشدّ به)).[٦]

فالعقل إذن هو تلك الأداة التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات، والتي تُعد أداة التكليف الرئيسة لديه.

---

[١] ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٨٥/٢.

[٢] قصص القرآن: ص ١١١.

[٣] ينظر: لسان العرب: ٤٥٨/١١– ٤٥٩، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: مادة (عقل)، ٩/٤.

[٤] ينظر: القرآن الكريم رؤيا تربوية، لزهير محمد شريف: ص١٤٢.

[٥] لسان العرب: مادة (عقل)، ١١/ ٤٥٨ – ٤٥٩.

[٦] المصدر نفسه: ٤٥٩/١١.

المطلب الثاني: أهمية ومميزات التربية العقلية:

لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتمامًا خاصًّا، وأكّد على تربيته التربية المثلى، فبدونه لا يمكن للتربية أنْ تُحقِّق نتائجها بحال من الأحوال، فالعقل مناط التكليف لدى الإنسان[١] وبه يتميز عن سائر المخلوقات، وقد حثَّ الرسول الأكرم –صلوات الله وسلامه عليه– على تربية العقل وذلك أثناء الحثّ على مخاطبة الناس بما يفهمون، أي: عن طريق مراعاة مستواهم العقلي وإمكانياتهم الذهنية، فالناس متفاوتون بهذا الأمر، وتربيتهم لا يمكن أنْ تكون إلّا عن طريق مراعاة مستوى عقولهم وإدراكهم[٢] وقد أطلق القرآن الكريم الحرية للعقول، فأمر الإنسان بالتفكر في خلق السماوات والأرض، وتدبر المعاني السامية، والنظر الحرّ في مخلوقات الله بما فيها نفسه[٣]، وما ذلك إلّا لبيان دور العقل الهامّ والرئيس في معرفة مُوجِد الأمور وصانعها.[٤]

لذلك فإنَّ من الواجب على المرء تغذية عقله بالثقافة والمعارف كي يستطيع عن طريق معارفه وعلومه من اجتياز التحديات الفكرية المتجدِّدة، وكذلك استيعاب المتغيرات الحضارية الكثيرة،[٥] فلا فلا بد للعقل من تدريب مستمر، وتكمن وسائل تدريبه في انتهاج الطريق العملي الصحيح، وذلك أثناء العقلي السليم، وتخليص العقل عن كل ما عداه من مقررات وأمور بعيدة عن الدور السليم للعقل في بناء هيكلية الإنسان بناء سليمًا وصحيحًا، ولهذا فقد ندَّد الله تعالى في أكثر من آية بأولئك الذين لا يستخدمون عقولهم ويعطلونها، بل لا يستفيدون منها في أمور دينهم ودنياهم[٦]، فقال تعالى واصفًا حالة المشركين الذين حال عدم استخدام عقولهم بينهم وبين اتِّباع الطريق السليم والاستجابة لدعوة الرسول ﷺ بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ﴾[٧]، فالإسلام لا يريد من الإنسان أنْ يكون مُقلِّدًا لمنهج سلفه دون التَّحقُّق منه والتأكُّد من سلامته وصحته، فقد يكون منهجهم خاطئًا، وبالتالي فإنَّ استخدام العقل هنا أمر واجب ولا بد منه، فهو الفيصل في مثل هذه الأمور، وقال تعالى واصفًا أولئك الذين عطلوا عقولهم وجمدوها بقوله:﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ

---

[١] ينظر: الجامع الأحكام القرآن: ٥/١٦٠.

[٢] ينظر: التربية الإسلامية: ص٢٠.

[٣] ينظر: القرآن الكريم رؤية تربوية: ص١٤٢؛ ومن هدي القرآن، لمحمود شلتوت: ص ١٩٣– ١٩٤.

[٤] ينظر: من هدي القرآن: ص ٣١.

[٥] ينظر: من هدي القرآن: ص ٣١؛ والتربية في القرآن، لفوقية أحمد: ص ٣٩.

[٦] ينظر: التربية الإسلامية: ص ٦٥.

[٧] سورة لقمان، الآية: ٢١.

ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، ولأجل هذا فأنَّه لا بد للعقل من تدريب ولا بد من تعويده على التدبُّر والتفكُّر بهذا الكون العجيب ثم التأمُّل للروعة المستخلصة من عملية التدبُّر هذه.[2]

ولأجل أنْ تكتمل سبل هداية الإنسان فقد جاءت مصادر الهداية موافقة لمنهج العقل، فالعقل وعلى الرغم من أهميته يبقى عاجزًا عن الاهتداء إلى حقيقة الدين دون الاستعانة بمصادر الهداية، ولأجل هذا فقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[3]، فللعقل دور مهم في توجيه الإنسان وقيادته القيادة الصحيحة والتي من شأنها أنْ تبنيه بناءً عقليًّا سليمًا.[4]

ولذلك فإنَّ إهمال نعمة العقل، وإقصاءه عن دوره هو من أهم أسباب العذاب يوم القيامة. [5]

وبهذا فإنَّنا نستطيع أنْ نجمل أهم مميزات تربية العقل في الإسلام بـ:

أولًا– إنَّ تربية العقل هي الأساس في تربية الإنسان، فالعقل هو الوسيلة التي يملكها الإنسان ويتميز بها عن سائر المخلوقات، وتربيته أنَّما تعني إعداده إعدادًا فكريًّا خاصًّا ليكون بالتالي مؤهَّلًا لاستيعاب ما يلقى إليه من تعاليم وأحكام، فقد أمر الله الإنسان بالتفكُّر في خلق السموات والأرض، وهذا التفكُّر لا يمكن أن يكون موجودًا ما لم تكن تربية العقل أخذت مأخذها من العبد، يقول الشيح محمود شلتوت: ((ورأينا أنَّ التفكُّر في خلق السموات والأرض كان أول ما عَني به الإسلام وأرشد إليه من تلك الوسائل، إذ به تُعرف الآثار الدالة على جلال مصدرها وكماله في العلم والقدرة والسلطان والرحمة، ومن هنا تخضع النفوس عن طريق عقلي و وجداني لإدارة مصدرها رب العالمين الرحمن الرحيم، ويعظم لديها الوعي الديني الذي يخلق فيها النشاط لطاعته وتحرّي ما يرضيه ومعاملة الناس)).[6]

فالدين الإسلامي يدعو وعن طريق تعليماته وأحكامه إلى التدبُّر العقلي في خلق السموات والأرض[7] فقال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

[2] ينظر: التربية في القرآن: ص ٤٠.

[3] ينظر: الفكر الديني في مواجة العصر، د.عفت محمد شرقاوي: ص ٢٩٣.

[4] يذهب الشيخ نديم الجسر إلى خلاف هذا، وأنَّ العقل وحده يُعدُّ كافيًا على فهم وإدراك معانيه من دون الحاجة إلى إلى جهة أخرى، فيقول: ((إنَّ العقل الإنساني قادر من غير تعليم ولا إرشاد على إدراك وجود الله بآثاره في مخلوقاته وإقامة الأدلة الصادقة على ذلك)). قصة الإيمان، لنديم الجسر: ص ٧٢.

[5] ينظر: روح الدين الاسلامي: ص ٢٦٤.

[6] من توجيهات القرآن، للجيزاوي: ١٣٤– ١٣٥.

[7] ينظر: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د.إسحاق أحمد فرحان: ص ٣٠.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[1] وما من شك في أنَّ أولي الألباب هم أصحاب العقول الذين ينتفعون بعقولهم ويستخدمونها الاستخدام الأمثل الصحيح.

ثانيا– إنَّ تربية العقل هي الأساس لكافة جوانب التربية الأخرى، فكل التعليمات الإلهية الصادرة من الله تعالى للإنسان أنَّما هي تعاليم استندت استنادًا مباشرًا أو غير مباشر على العقل السليم والصحيح، وما إنزال القرآن الكريم باللسان العربي السليم إلّا خير دليل على ذلك، من حيث أنَّ إنزاله بلغة العرب أنَّما هو لأجل أن يعقلوه كما قال تعالى في سورة يوسف:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[2] فالأساس إذن من إنزال القرآن الكريم هو مخاطبة العقل وتربيته؛ لأنَّها في جوهرها تمثل الأساس الذي يقوم بنيان التربية في الإسلام عليه.

المطلب الثالث: جوانب من التربية العقلية في سورة يوسف:عليه السلام

أولا– لقد اهتمت سورة يوسف عليه السلام بتربية العقل، وأكّدت عليه أثناء آياتها فقد ذكر الله تعالى في هذه السورة بأنَّ العقل هو محور الفهم والتدبر، فقال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ ، فالإحاطة والفهم لمعاني القرآن الكريم لا يمكن أن تكون موجودة إلّا عن طريق مخاطبة العقل، الذي يمثل في جوهره وسيلة الفهم لدى الإنسان، فقد استخدم يوسف عليه السلام العقل ولم يقارب المعصية والفاحشة في أثناء وجوده في بيت زوجة سيده؛ وذلك لأنَّه ليس من العقل ولا من المنطق أن يخون الرجل أخاه، وهنا يكمن دور العقل في حجر الإنسان عن الأعمال القبيحة والذميمة، فقال تعالى على لسانه :عليه السلام﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3]، فالعقل إذن هو المنجد، فقد راودتْ زوجة العزيز يوسف عن نفسه طالبة منه منه المواقعة[4]، واستخدمت معه وسائل الإغراء كافة، مادية و معنوية، من أجل أنْ تؤثر في يوسف وتفقده السيطرة على نفسه، ولكنّه استطاع التغلب على موارد شهوته، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[5] وهذا يشير إشارة واضحة إلى أنَّه عليه السلام عَلِمَ ما أحلَّ الله مِمَّا حرَّم، فرأى بعد تحكيمه عقله حرمة الزنى كما ذهب إلى ذلك الإمام ابن الجوزي في تفسيره[6]،

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

[2] سورة يوسف، الآية: ٢.

[3] سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

[4] ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي: ٤/٦٢٠.

[5] سورة يوسف، الآية: ٢٤.

[6] ينظر: زاد المسير: ٤/٦٢٠.

فصون النفس من مقاربة المعاصي هو من أكبر المهام المناطة بجوهر العقل الإنساني؛ لأنَّه هو الذي يحجر صاحبه عن الوقوع في براثن الرذيلة والمعصية، وبعد ذلك فإنَّ تلك المؤثرات التي تترك أثرها على العقل والتي أشار إليها بعض الكتاب كالغضب والشهوة وهي المعنية هنا، لم تترك أثرها سلبًا على عقل نبي الله يوسف عليه السلام ولم تحدّ به عن طريق الواقع والحقيقة.[1] وفي كل هذا إشارة إلى أنَّ العقل هو الذي يحبس صاحبه عن الوقوع في المعصية، وبهذا يتفق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي.

ثانيا- وهكذا فقد حكم العزيز بإدانة زوجته حينما ثبت له عقلًا ومنطقًا أنَّ زوجته هي التي بادرت بإغواء يوسف عليه السلام وذلك عن طريق الدليل الذي كان شاهدًا على ذلك، قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾[2] وكلام العزيز أنَّما يُعدُّ كلامًا خاضعًا لقانون العقل؛ وذلك لأنَّ الأمر المنطقي يقتضي أن يشق الثوب من الخلف إن كانت هي الطالبة له والراغبة فيه، وبخلاف ما إذا كان يوسف عليه السلام هو الراغب فيها والمائل إليها، وقد أقرَّ العزيز بهذا أثناء كلامه الأخير ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾، وفي هذا كله إشارة إلى أنَّ العقل هو الفيصل في الأمور وأنَّ إليه المرجع وإنَّ على الإنسان استخدام عقله في المواطن المختلفة.

ثالثا- وقد نعت السورة المباركة على أولاد يعقوب عليه السلام إهمالهم عقولهم حينما قدَموا على أبيهم جالبين قميص يوسف عليه السلام له، مُلطَّخًا بالدَّم زاعمين أنَّ الذئب قد أكله، دون أن يُفكِّر واحد منهم في تمزيق ذلك القميص، ولأنَّه لا يُعقل أنْ يقوم الذئب بأكل إنسان دون أنْ يمزق قميصه بأنيابه، فقد كذّبهم أبوهم وأدرك أنَّ أولاده يكذبون، وأنَّ ما يقولونه لم يحصل، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾[3] وهذا في حقيقته يُشير إلى أنَّ يعقوب عليه السلام أدرك بأنَّ أولاده يكذبون، حيث لم تكن لهم حجة عقلية ومنطقية، يستطيعون أثناءها إقناع أي إنسان عاقل بما يقولون، وكان عليهم وعلى أقل تقدير أنْ يُحكِّموا عقولهم وأنْ يُتقِنوا

---

[1] ينظر: العقل والإيمان في الإسلام، د. صابر طعيمة: ص ١٠٠.

[2] سورة يوسف، الآيات: ٢٥- ٢٨.

[3] سورة يوسف، من الآية: ١٨.

الحجة والتي عن طريقها يُقنِعون أباهم بما حصل لأخيهم وذلك بتمزيق قميصه، قال بعض العلماء –رحمهم الله–، ((ولَمّا أرادوا أنْ يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهي سلامة القميص من التنبيب، إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريق، ولَمّا تأمل يعقوب عليه السلام القميص فلم يجد فيه خَرقًا ولا أثرًا استدل بذلك على كذبهم))[1] وروي أنَّه قال مُتهكِّمًا بهم: ((والله الذي لا إله إلّا هو ما رأيت كاليوم ذئبًا أحكم منه أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزق عليه)). [2]

رابعا– كذلك فقد ذكرت السورة المباركة أنَّ استخدام العقل يقتضي عدم إشاعة الفاحشة بين الناس، وكذا عدم مقابلة الإحسان بالإساءة والقسم الأول تمثل بزوجة العزيز، والتي مع أنَّها هي مَن كانت المبادِرة بمحاولة إغواء الصديق يوسف وأنَّه امتنع عنها، إلّا أنَّها لم تُحَكِّم العقل في مثل هذا الموقف ولم تستر على نفسها، بل أشاعت النبأ، ولم يصل الخبر إلى النسوة إلّا عن طريقها،[3] بدليل أنَّ يوسف الصديق عليه السلام التزم بمقولة سيده بأنْ لا ينشر الخبر وأنْ لا يفضح سيده بزوجته، وما دخوله عليه السلام السجن إلّا لذلك، حيث أبى أنْ يتكلم قال تعالى على لسان زوج المرأة:﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩ ﴾[4]، والتزام يوسف بهذا الأمر هو في حقيقته احتكام إلى العقل، فالسورة المباركة وعن طريق خلق نبي الله يوسف عليه السلام تؤكد على ضرورة احترام العقل، وجعله الميزان في كل الأمور، فزوجة العزيز لم تكن حكيمة في ذلك الموقف، فهي مَن فضح نفسها بحديثها مع النسوة، وإلّا فكيف أدرك النسوة ذلك، فيوسف لم يتكلم، وفاء منه لسيده، وسيده لم يتكلم أيضًا، بل حتى أنَّه لم يعاقب زوجته، وسواء أكان ذلك بسبب حلمه أم بسبب قلّة غيرته[5] فلم يبقَ إذن سوى المرأة التي لا بد أنْ تكون هي مَن تكلم، وفي هذا الموقف فلا يخفى من السلبيات والتي على أساسها إهمال العقل وإبعاده عن ما أُريد له.

خامسا– وكذلك فأنَّ من الأمور العقلية التي جاءت بها السورة، هو أنَّه عذاب الدنيا وإنْ طال أهون من عذاب الآخرة وإنْ قصر، ولأجل هذا فضّل يوسف الصديق عليه السلام السجن على الخيانة؛ لأنَّ السجن عقوبة دنيوية، والخيانة عقوبتها آخروية، قال تعالى على لسان يوسف :عليه السلام﴿ قَالَ رَبِّ

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٩.

[2] ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠/٩.

[3] ينظر: زاد المسير: ص ٦٢٥.

[4] سورة يوسف، الآية: ٢٩.

[5] ينظر: الكشاف، للزمخشري: ٥١٢/١٢.

ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، والمعنى: أنَّ ((نزول السجن أحب إليّ من ركوب المعصية)).[2]

سادسا- وكذلك من الأمور العقلية الأخرى التي جاءت في سورة يوسف هي أنَّ على المرء أنْ يستغل الموقف في أنْ يكون داعيًا إلى الله تبارك وتعالى ما أمكنه إلى ذلك سبيلا، والمناط في هذا هو العقل، وتربيته في أن يكون وسيلة لاختبار الوقت المناسب في الدعوة إلى الله تعالى، وهو أمر مهم جاءت السورة المباركة لتؤكِّد عليه، فعلى الرغم من وجود نبي الله يوسف في السجن إلّا أنّ ذلك لم يحل أو حتى يمنع من أنْ يكون النبي الكريم ﷺ داعيًا إلى الله تعالى كما تُحدِّثنا السورة الشريفة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3]، والمعنى الذي يُفهم وكما ذهب إليه الزجّاج هو أنَّه ﷺ ابتدأ بالدعوة إلى الله تعالى، أو إثارة عقيدة التوحيد قبل البدء بالإجابة عن السؤال.[4]

فالتربية العقلية تقتضي أن يقوم الإنسان باستخدام عقله واستغلال الموقف المؤاتي في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا أمر يُحدِّده العقل كما فعل يوسف الصديق .ﷺ

سابعا- ومن الأمور الأخرى التي تُنبئ بضرورة استخدام العقل وضرورة تربيته التربية المثلى، هي أنَّ على المرء أنْ يدافع عن نفسه وأنْ يقوم بإظهار حقه الضائع أثناء الموقف الحكيم والمنطقي، فقد دافع يوسف عن نفسه حينما ابتدرته زوجة سيده مُتّهمة إياه بمحاولة الاعتداء عليها والتغرير بها فالدفاع عن النفس أمر يقرّه العقل؛ لأنَّ سكوت يوسف حينها سيثبت عليه التهمة، ومن ثم فإنّه سيكون مُدانًا أمام سيده، فمن مظاهر استخدام العقل الدفاع عن النفس، وكذلك استخدام الأسلوب

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٣٣.

[2] زاد المسير: ٦٢٧/٤.

[3] سورة يوسف، الآيات: ٣٦- ٤٠.

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٠٩/٣- ١١٠؛ وزاد المسير: ٤/ ٦٢٩.

الأمثل في طريقة الدفاع عن النفس، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴾[1]، ومن هنا فإنَّ على المرء أن يدافع عن نفسه؛ لأنّ دفاعه عن نفسه هو تربية حقيقية وعملية للعقل لأنَّ العقل يدعو إلى ذلك.

ثامنا- وكذلك من جوانب استخدام العقل الواردة في سورة يوسف عليه السلام هي موقفه عليه السلام من إخوته بعد أنْ أصبح على خزائن الأرض في الدولة المصرية، إذ قدَّم له إخوته دون أنْ يعرفه واحد منهم كما يحدثنا القرآن الكريم بقوله:﴿ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2] وبعد ذلك وحينما قدَّم الأخوة مرّة ثانية إلى مصر طلبًا للطعام، فإنَّ يوسف عليه السلام قام بوضع صواع الملك في رحل أخيه بنيامين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3] وحينما ابتدأ مرحلة التّقصّي والتّحرّي عن الصواع وذلك بعد مرحلة دفاع الأخوة عن أنفسهم ومحاولة إثبات براءتهم، لم يبدأ يوسف عليه السلام في رحل أخيه الذي أمر هو أن يوضع الصواع فيه، وأنَّما ابتدأ برحال بقية إخوته وصولًا إلى رحل أخيه والعقل يُدرك أنَّ الغاية من هذا هي أنَّ يوسف عليه السلام أنَّما أراد أنْ لا يشعر إخوته الذين يجهلون حقيقته بأنَّه هو مَن قام بفعل هذا،[4] ولو أنّه ابتدأ برحال أخيه واستخرج الصواع منه لقال الأخوة حينها: وما الذي أدراك أنَّ الصواع موجود هنا تحديدًا، مِمّا يجعلهم في شك من أمره، ويعتقدون حينها بأنّ العزيز هو مَن قام بفعل ذلك، ولكن يوسف عليه السلام أغلق عليهم هذا الباب أثناء البدء ببقية الرحال وصولًا إلى الرحل المعني، وهذا أمر يدعو إليه العقل ويُقِرّه المنطق، والله تعالى أراد أثناء هذا الموقف إثبات أنَّ على المرء أن يستخدم عقله استخدامًا صحيحًا عن طريق المواقف الكثيرة والتي تقتضي استخدام العقل وتربيته التربية المثلى.

تاسعا- وتربية العقل تقتضي أيضًا أنْ يكون المرء كيّسًا وفَطِنًا، فلا يُلدَغ المؤمن من جحرٍ مرتين، ولأجل هذا فقد أخذ يعقوب عليه السلام الميثاق من أولاده، حينما ذهبوا بأخيهم بنيامين بعدما أثبتوا لأبيهم أنّهم ليسوا أهلًا لتحمُّل الأمانة أثناء موقفهم من يوسف عليه السلام فبعد أن غدر إخوته به وجاءوا إلى أبيهم زاعمين أنَّ الذئب قد أكله وهو منه بريء، ولا سيما بعد أن تَبَيَّن للأب ذلك عن طريق الآيات الدالة على كذبهم،[5] وبعد أن جاءوا طالبين أن يبعث معهم أخاهم الآخر، فلم يبقَ أمام يعقوب

---

[1] سورة يوسف، الآيتان: ٢٥- ٢٦.

[2] سورة يوسف، من الآية: ٥٨.

[3] سورة يوسف، الآية: ٧٠.

[4] ينظر: زاد المسير: ٦٤٢/٤.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٩.

عليه السلام حينها عقل ومنطق إلّا أن يأخذ الميثاق على أولاده، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾[1].

ومعنى هذا أنَ يعقوب عليه السلام أراد أن لا يتكرر الموقف أثناء أخذ الميثاق على أولاده هذه المرة بأنّ يأتوا بأخيهم سالمًا إلّا أن يكون هناك مانع يمنعهم جميعًا من العودة كما تُحدِّثنا الآية المباركة، وهذا أمر عقلي، يهدف إلى بيان أنّ على المرء أن يتّعظ وأن يُحَكِّم عقله في المواقف المتشابهة.

فسورة يوسف إذن أكّدت أثناء القصة القرآنية على أهمية تربية العقل، وذكرت كذلك أنّ تحكيم العقل هو الذي يؤدي إلى إدراك الحقائق الكثيرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2].

الخاتمة

لقد أكَّد القرآن الكريم أثناء سوره الكثيرة على أنّ الجانب التربوي والخلقي يمثّلان الدعامة الأساسية لإنزاله، فهو يهدف في الأساس إلى خلق مجتمع فاضل متماسك متّحد، تسود أفراده الألفة والمحبة، وتنأى به في الوقت ذاته عن التناحر والتباغض، وتمثل السبب والعامل الأساس لإنزال الرسالات السماوية كافة.

وقد هدفت سورة يوسف عليه السلام إلى هذا المعنى، كونها جزءًا من القرآن الكريم، مع ما احتوته السورة الشريفة من مواقف، أكّدت كلُّها وجلُّها على هذه الغاية، وهي خلق المجتمع المتماسك المتّحد، أثناء عرض الأسباب والنتائج التي جاءت في السورة الشريفة، فما من موقف إلّا وله نتيجة، وما من خلق إلّا وله قصة أو موقف يؤكده، ويرسم الطريق للوصول إلى مبتغاه.

وإذا كانت سورة يوسف عليه السلام احتوت على عدد كبير من المبادئ والقيم، التي نحن بأمسّ الحاجة إليها اليوم، ولهذا فنحن بحاجة ماسَّة وملحَّة إلى أنْ يكون لهذه التربية أثرها في سلوك أطفالنا وشبابنا، عن طريق التأسِّي بمنهج نبي الله يوسف وأبيه يعقوب –عليهما السلام–.

---

[1] سورة يوسف، من الآية: ٦٦.

[2] سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

النتائج

وأمّا النتائج التي آل إليها الموقف، فيمكننا أن نلخصها بما يأتي:

١. نحن بحاجة اليوم إلى أن يتعفّف شبابنا وأن يصونوا أنفسهم وأن تخضع نفوسهم لعقولهم، كما حصل مع يوسف عليه السلام الذي لم تكن إغراءات زوجة سيده لتزيده إلّا إصرارًا في الابتعاد عن المعصية ما أمكنه إلى ذلك سبيلًا. وهذا هو الخُلُق الأساس الذي جاء عن طريق الموقف أو عن طريق السبب، وكذا النتيجة التي أدّى إليها السبب نفسه أو الموقف نفسه، عن غرائزه، وكبح جماح نفسه, والاستنجاد بخالقه.

٢. على المعلمين والمتعلمين على حدٍّ سواء, أن يتخلّقوا ويتمثّلوا ويقتدوا ويحتذوا ويتأسُّوا بأخلاق يوسف عليه السلام وطبعه وسجيته وتسامحه وصبره وعفته وعفوه ودعوته إلى الله –تعالى– ما أمكنه إلى ذلك سبيلًا، وبالتالي فإنّ الفرد إذا نشأ على هذه الأسس، وأعني بها الأسس التربوية والأخلاقية التي جاء بها القرآن الكريم عامة وسورة يوسف خاصة، فإنّه سوف ينشأ نشأة إسلامية صحيحة وسليمة.

٣. الابتعاد عن الغدر, الذي تمثل بإخوة يوسف حين ألقوه في غيابة الجب, ليلتقطه بعض السيارة ليحرموه من صحبة أبيه, فكانت النتيجة عكس ما أرادوا, أن جعله الله عزيز مِصر.

٤. بث روح التسامح الذي تمثل بعفو يوسف عليه السلام عن إخوته بعد أن تمكّن وأصبح عزيز مصر, ويستطيع أن ينفذ سطوته وغضبه على إخوته.

٥. الحث على الدعوة إلى الله في كل الظروف التي تحيط بالإنسان, وتكون الدعوة وفق علم وبيّنة وبصيرة كما قال الله تعالى في نهاية سورة يوسف ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

فما كان من توفيق فمِنَ الله وحده, وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان, غير إنّي أستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

التوصيات

١. أوصي طلبة العلم أن يتم تناول موضوع هذه الدراسة في دراسة علمية، ماجستير أو دكتوراه، حتى يمكن الإحاطة بآفاق الموضوع بصورة أعمق وأشمل.

٢. أن يهتم الباحثون بالموضوعات التي انفردت بها بعض السور، وجعلها في أبحاث مستقلة.

---

[1] سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٣. إصدار نشرات تُبيِّن للناس التوجيهات التربوية في سورة يوسف ﷺ وتوزيعها بأكبر قدر ممكن عن طريق الجهات المختصة.

٤. أوصي الباحثين في التفسير الموضوعي بتوسيع دائرة بحثهم، في موضوعات القرآن الكريم واستنباط أسرار القرآن وهدايات القرآن التي لا تنتهي.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، للإمام زين الدين أبي الفضل العراقي ، ضبط وتحقيق أحمد إبراهيم زهرة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- الإسلام في حياة المسلم، الدكتور محمد البهي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د.إسحاق أحمد فرحان، عمّان، ط١، ١٩٨٢.
- التربية الإسلامية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول – عليه الصلاة والسلام- د. فوقيه أحمد حسن، ط١، ١٩٨٥.
- التربية الإسلامية، محمد عطيه الابراشي، الدار القومية، ١٩٦٤، مطبعة دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة.
- تفسير القرآن العظيم ويليه كتاب فضائل القرآن للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، إعداد مكتب، تحقيق دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة، ومنقحة، أعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
- الجامع لأحكام القرآن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للإمام أبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦-٨٧٥)، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وأخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٨هـ، بيروت، لبنان.
- حياة وأخلاق الأنبياء "صلى الله عليهم وسلم"، أحمد الصباحي عوض الله، تقديم الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحّام وفضيلة الأستاذ سيد سابق، دار اقرأ، ط٤ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- روح الدين الإسلامي، تحقيق عبد الفتاح طبارة، إشراف شريف خليل شكر، ط٧، ١٣٧٦هـ-١٩٦٦م.
- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، (ت ٥٩٧هـ)، حققه وكتب حواشيه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، دكتوراه في علوم القرآن وأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية للأزهر، خرّج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، جمادي الأول، ١٤٠٧هـ كانون الثاني، ١٩٨٧، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- العقل والإيمان في الإسلام، د. صابر طعيمة، ط١ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار الجيل، بيروت.

- الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلة لاتجاهات التفسير في العصر الحديث، د. عفت محمد الشرقاوي، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- القرآن الكريم رؤيا تربوية، زهير محمد شريف، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الفكر، عمان، الأردن.
- قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن، نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة منير، بغداد، شارع المتنبي.
- قصص الأنبياء، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٠٠-٧٧٤هـ)، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- قصص القرآن، تأليف المرحوم محمد أحمد جاد المولى، تحقيق عبد الدائم زيتوني، دار الإيمان، دمشق، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، حلب ، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي، نشر مكتبة مصر بالفجالة.
- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) الأفريقي المصري، الطبعة الأولى ١٤٠٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- المعجم القانوني، حارث سليمان الفاروقي، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ١٤١٠هـ.
- معجم لغة الفقهاء (عربي انكليزي)، مع كشاف انكليزي عربي بالمصطلحات الواردة في المعجم وضع أ. د محمد روا قلعجي و د. حامد صادق قتيبي دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، شارع فردان، بناية الصباح، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران، (د. ت).
- المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، عنيت بنشره المكتبة المرتضوية، طهران.
- من توجيهات القرآن التربوية، من سلسلة دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سعد الدين الجيزاوي، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، العدد / ٣٣، السنة ٣-١٥ ذو الحجة ١٣٨٣هـ ، ٢٧/أيلول ١٩٦٤م.
- من هدي القرآن، محمد نمر الخطيب، مطبعة اليقظة، دمشق.

After the Holy Quran

- The Revival of Religious Sciences, by Imam Abi Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali, and his singer-songwriter on carrying travels in the travels in the graduation of what is in the revival of news, by Imam Zain Al-Din Abi Al-Fadl Al-Iraqi, edited and verified by Ahmed Ibrahim Zahra and Ahmed Inaya, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut - I 1 1426 AH - 2005 AD.

Islam in the Life of a Muslim, Dr. Muhammad Al-Bahi - Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.

● Islamic Education between Authenticity and Modernity, Dr. Ishaq Ahmed Farhan, Amman, 1, 1982.
● Islamic education in the Qur'an and its applications in the era of the Prophet - may God bless him and grant him peace - Dr. Fawkiah Ahmed Hassan, 1st Edition, 1985.
● Islamic Education, Muhammad Attia Al-Ibrashi, National House, 1964, Arab Thought House Press, third edition.
● Interpretation of the Great Qur'an, followed by The Book of Virtues of the Qur'an by Imam Al-Hafiz Imad Al-Din Abi Al-Fida Ismail bin Kathir Al-Quraishi Al-Dimashqi (d. 774 AH), presented by Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, prepared by an office, investigated by the House of Revival of Arab Heritage, new and revised edition, indexed by Riyadh Abdullah Abdul Al-Hadi, House of Revival of Arab Heritage.
● Jami' al-Bayan on Interpretation of the Verse of the Qur'an, authored by Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari (d. 310 AH), control, documentation and graduation of Sidqi Jamil al-Attar, Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, 1415 AH - 1995 AD.
● The Collector of the Rulings of the Qur'an, Abi Abdullah bin Muhammad bin Ahmad Al-Ansari Al-Qurtubi (671 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon, Arab History Foundation, Beirut, 1405 AH-1985 AD.
● Al-Jawaher Al-Hassan in the Interpretation of the Qur'an, by Imam Abi Abdul Rahman bin Muhammad bin Makhlouf Abi Zaid Al-Thaalbi Al-Maliki (786-875), verified its origins in four written copies and commented on it and directed his hadiths by Sheikh Ali Muhammad Moawad, and Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawgod, and participated in its investigation by Professor Dr. Abdel Fattah Abu Sunna, House of Revival of Arab Heritage and Foundation for Arab History, 1418 AH, Beirut, Lebanon.
● The Life and Morals of the Prophets "may God bless them and grant them peace", Ahmed Al-Sabahi Awad Allah, presented by the Grand Imam, Dr. Muhammad Al-Fahham and the eminence of Professor Sayed Sabek, Dar Iqra, 4th edition 1413 AH - 1993 AD.
● Spirit of Islam, investigation by Abdel Fattah Tabbara, supervised by Sharif Khalil Shukr, 7th edition, 1376 AH-1966 AD.
● The path to the science of interpretation increased, by Imam Abi Al-Faraj Jamal Al-Din Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi Al-Qurashi Al-Baghdadi, (d. 597 AH), verified and written by Muhammad bin Abdul Rahman bin Abdullah, PhD in Qur'anic sciences and professor at the Faculty of Islamic Studies of Al-Azhar, extracted his hadiths Abu Hajar Al-Saeed Bin Bassiouni Zaghloul, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1st Edition, Jumadi Al-Awal, 1407 AH, January 1987, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon.
● Reason and Faith in Islam, d. Saber Taima, 1st Edition 1399 AH-1979 AD, Dar Al-Jeel, Beirut.
● Religious thought in the face of the age, an analytical study of the trends of interpretation in the modern era, d. Effat Muhammad Al-Sharqawi, Dar Al-Awda, Beirut, 2nd edition, 1979.
● The Noble Qur'an, an educational vision, Zuhair Muhammad Sharif, 1, 1402 AH - 1982 AD, Dar Al-Fikr, Amman, Jordan.
● The Story of Faith between Science, Philosophy and the Qur'an, Nadim Al-Jisr, Mufti of Tripoli and North Lebanon, Dar Al-Tarbeeh for Printing, Publishing and Distribution, Munir Press, Baghdad, Al-Mutanabbi Street.

● Stories of the Prophets, Abi Al-Fida Imad Al-Din Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Dimashqi, (700-774 AH), Al-Hilal Library House, Beirut, Lebanon, 2003 AD.
● Stories of the Qur'an, written by the late Muhammad Ahmad Jad Al-Mawla, investigated by Abdel-Daim Zaytouni, Dar Al-Iman, Damascus, Beirut, Islamic Heritage Library, Aleppo, 1, 1409 AH-1988 AD.
● The Book of the Eye by Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (100-175 AH), investigated by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar al-Hijrah Foundation, 2, 1409 AH.
● The Book of the Eye by Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (100-175 AH), investigated by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar al-Hijrah Foundation, 2, 1409 AH.
● Al-Kashf about the facts of the download and the eyes of gossip in the faces of interpretation, written by Abu Al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari Al-Khwarizmi, explained and controlled and reviewed by Youssef Al-Hammadi, published by the Egyptian Library in Faggala.
● Lisan al-Arab, by Imam Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur (d. 711 AH) African-Egyptian, first edition 1405, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon.
● The Legal Dictionary, Harith Suleiman Al-Farouqi, published by the Library of Lebanon, Beirut, 2nd edition 1410 AH.
● A dictionary of the language of the jurists (Arabic-English), with an English-Arabic scout for the terms contained in the dictionary, developed by A. Dr. Muhammad Rowa Kalajji and d. Hamed Sadiq Qutaibi, Dar Al-Nafais for Printing, Publishing and Distribution, Verdun Street, Al-Sabah Building, Beirut, Lebanon, 2, 1408 AH-1988 AD.
● A Dictionary of Language Measures, Abu al-Hasan Ahmad bin Faris bin Zakaria, investigated and controlled by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Iran, (d. T).
● Vocabulary in the Strange Qur'an, written by Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Isfahani, verified and controlled by Muhammad Sayyid Kilani, with the aim of publishing it, Al-Murtazavi Library, Tehran.
● From the Qur'an's educational directives, from a series of studies in Islam, issued by the Supreme Council for Islamic Affairs, Saad Al-Din Al-Jizawi, supervised by Muhammad Tawfiq Owaidah, Issue / 33, Year 3-15 Dhul-Hijjah 1383 AH, September 27, 1964 AD.
●
From the guidance of the Qur'an, Muhammad Nimr Al-Khatib, Al-Waqah Press, Damascus.